جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY

مقرر تاريخ المملكة

الوحدة الخامسة

مُعد ومنسق المقرر

د. مترك السبيعي

الوحدة الخامسة

الدرس الأول: ملامح من نظام الحكم والإدارة في الدولة السعودية الأولى

1- نظام الحكم والادارة /

قامت الدولة السعودية الأولى على مبدأ واضح هدفه الأكبر جمع شتات البلاد على أساس التوحيد، وقد نذر قادة الدولة أنفسهم لذلك المبدأ فكانت إدارة شؤون الدولة تتم بتعاون وثيق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقادة آل سعود، وكان كثير من أعباء إدارة الدولة في مراحل تكوينها الأولى تقع على كاهل الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث ظل مستشاراً يُعتمد على رأيه في كثير من الأمور السياسية والعسكرية والمالية حتى وفاته سنه 1206هـ، وكان الحاكم يلقب بالأمير حتى اتسعت الدولة فأصبح يلقب: **(الإمام)** ويأتي في قمة النظام السياسي، فهو الرئيس الأعلى للدولة وصاحب السلطات الفعلية فيها والقائد العام لجميع القوات وبيده إبرام المعاهدات وإعلان حالة الحرب وجمع النفير العام، وقد حل الابن الأكبر من أبناء الحاكم محله في الحكم بعد وفاته وذلك بولاية عهد منه أثناء حياته، وكان من أهم واجبات الحاكم الإشراف على شؤون الدولة بصفة عامة.

وبالمرتبة الثانية يأتي **(ولي العهد)** وهو منصب يخلف الإمام في حكم الدولة في حال غيابه أو وفاته، وقد ورد ذكر ولاية العهد في أخبار عام 1202هـ في كتاب روضة الأفكار والأفهام لابن غنام، وكتاب عنوان المجد لابن بشر، ومن أهم سلطات ولي العهد وواجباته أن ينوب عن الإمام في القيام بمهام الدولة أثناء غيابه في حالة الغزو أو المرض أو أي حالة أخرى تستدعي ذلك، وكثيراً ما كان ولي العهد يباشر المهام الحربية والإدارية لإعداده وتدريبه للمستقبل.

أما **(أمراء الأقاليم)** فقد كانت الدولة السعودية الأولى مقسمة إلى مناطق متعددة، وفي إمارة كل منطقة منها أمير معين من قِبل إمام الدولة ويمثله، وكان من واجبات أمير كل منطقة أن يعمل على تطبيق أوامر الشرع بين سكان منطقته، ويساعد عمال الزكاة على جبايتها، وبعث الغزاة

للإسهام في حروب الدولة لتوسيع نفوذها أو الدفاع عن سيادتها، وكان يوجد إلى جانب الأمراء قضاة يختارون عادةً من أهل الكفاءات العلمية والأمانة، وكانت مرتباتهم من خزينة الدولة العامة.

وقد طبقت الدولة (مبدأ الشورى) في الحكم وهو أمر جرى عليه أئمة الدولة السعودية الأولى، فكان الإمام يستشير العلماء وأصحاب الرأي، وشيوخ القبائل وغيرهم.

2- النظام المالي /

كان النظام المالي للدولة السعودية الأولى مشابهاً للنظام المالي للدولة الإسلامية في الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام، فكان للدولة بيت مال يشرف على إدارة الشؤون المالية من حيث الموارد والمصارف، **وكانت أهم مصادر الداخل (الموارد):**

- الزكاة: وفي طليعة ما يزكي الثروة الحيوانية كالإبل والغنم والمحاصيل الزراعية من تمور وحبوب، وكان دخل الدولة من الزكاة يزداد بازدياد قوتها واتساع نفوذها حتى بلغ قمته زمن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد.
- الغنائم: تؤخذ عن طريق الحروب والغزوات، وكانت الدولة تأخذ خمس ما يغنم من الخصوم بحرب أما الباقي فيوزع على أفراد الجيش المحارب وفق أحكام الشريعة، وإلى جانب الغنائم الفيء وهو أخذ من الأعداء بدون حرب.
- العقوبات المالية: وهي متنوعة ومنها: المعاقبة على الإخلال بالأمن، أو عدم الوفاء بالتزامات التجنيد.

أما وجوه الإنفاق في الدولة السعودية الأولى فمن أهمها:

مرتبات أمراء المناطق والقضاة والعمال والجند المرابطين في الأقاليم والحصون العسكرية، والإنفاق الجزئي على تجهيز الحملات العسكرية، ومكافأة المعلمين وطلاب العلم وبناء المساجد،

ومساعدة الفقراء والمساكين ومن تحل بهم كوارث أو نوازل، وبعض المتطلبات الضرورية للحكم مثل الهدايا والهبات والضيافة.

ومن الملاحظ أن مصادر الدخل فاقت أوجه الإنفاق العامة بدرجة كبيرة ولذلك فإن الدولة أصبحت غنية جداً خاصة زمن الإمام سعود بن عبد العزيز، واستطاع قادتها أن ينعموا بحياة التنعم المناسبة مع ظروفهم الاجتماعية في تلك الفترة.

3- النظام التعليمي (العلم والعلماء) /

لقد كان أمراً طبيعياً أن تهتم الدولة القائمة على أساس من الدعوة الاصطلاحية بالعلم والتعليم، وكان ذلك واضحاً في سيرة قادتها الذين حرصوا كل الحرص على حضور مجالس العلم وتتلمذوا على يد المشايخ العظام بل إن من أولئك القادة من كان لا يقتصر على المناقشة العلمية وإنما يفسر ما يقرأه القارئ عليه من أقوال العلماء المختلفة حوله.

وقد بلغ من حرص قادة الدولة السعودية الأولى على التعليم أنهم كانوا يصحبون معهم في الغزوات علماء يعقدون مجالس علمية ينتفع بها أفراد الجيش الغازي، وكان التعليم وقتها تقليدياً يقوم على حلقات المساجد والكتاتيب، وكان في غالب مناهجه وأسلوبه تعليماً دينياً مركزاً على العلوم الشرعية كالتوحيد والحديث والتفسير والفقه والسيرة النبوية بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية وبعض مبادئ الحساب، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وطلابه هم الأساتذة وهم المشرفون على التعليم، وكانوا يمنحون الدارس بعد اجتيازه مرحلة التعليم وإتقانه ما تعلم واقتناع شيخه أو أستاذه بذلك ما يسمى **(إجازة)**.

بجهود أولئك القادة وإخلاص علماء البلاد ازدهرت الحياة العلمية ازدهاراً عظيماً، ووجد في الدرعية بالذات مكتبات قيمة ضمت كتباً كثيرة في موضوعات علمية مختلفة، ومن العلماء الذين برزوا في الدولة السعودية الأولى:

- حسين بن محمد بن عبد الوهاب
- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
- عبد الرحمن بن نامي
- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
- عبد العزيز بن سويلم
- عبد العزيز بن عبد الله الحصين

4- النظام العسكري (الأمن والأمور الحربية) /

لقد أولى قادة الدولة السعودية الأولى الناحية الأمنية أهمية خاصة وتكللت جهودهم التي بذلوها في هذا المجال بالنجاح الكبير حتى ساد البلاد أمن لم تشهد له مثيلاً إلا في فترة قصيرة جداً من فجر التاريخ الإسلامي ولعل من أسباب ذلك النجاح إلقاء مسؤولية الجرائم على عاتق رؤساء القبائل حيث منعوا الحماية عن مرتكب الجرائم من أي فرد كان معتديا على فرد آخر من قبيلة أخرى.

ومن أهم ملامح الدولة السعودية الأولى أنه لم يمر عام واحد من بداية القتال بينها وبين خصومها سنة1159هـ إلى نهايتها سنة 1233هـ إلا وفيه غزوة أو عدة غزوات بعضها دفاعاً وأكثرها هجوماً، ولم يكن هناك جيش دائم للدولة السعودية الأولى وإنما كانت قواها المحاربة تتكون بطريقة إلزامية أو تطوعية حسب متطلبات الحال، فقد كان الحاكم أو نائبه في الغزو يطلب من أمراء المناطق ورؤساء القبائل عدداً معيناً من المقاتلين لينضم إلى الغزو الذي يراد القيام به، وعلى كل من يطلب منه ذلك أن يقوم بتنفيذه، على أنه هناك عدد من الجنود الدائمين مثل الحرس الخاص للحكام في الدرعية وللأمراء في كل منطقة من مناطق الدولة وحصونها، وكان على كل منطقة أو قبيلة أن تجهز أفراد غزوها بما يلزمهم من عتاد (سلاح) ورواحل وأطعمة تكفيهم المدة المتوقع للغزوة وذلك عندما يعلن الإمام ما يسمى بالنفير العام، وكانت الدولة كذلك تساعد الغزاة إذا طالت مدة

الغزوة، ومن الأساليب الناجحة التي اتبعها القادة السعوديون في أعمالهم العسكرية سرعة الحركة وسريتها وتضليل (إيهام) الخصوم وبناء قلاع أو قصور قرب البلدان التي تطول مقاومة أهلها وذلك لمضايقتهم من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية حتى يضطروا إلى إعلان الولاء لهم أو الاستسلام، وكان الإمام يوزع على جيش الجهاد خمس الغنائم بعد أخذ الخمس منها لبيت المال حيث كانت حصة الفارس سهمين، والراجل سهم، ولا ينحل النفير إلا إذا أصدر الإمام أمراً بذلك.

أما الأسلحة التي استخدمتها الدولة السعودية الأولى فمنها السيوف والرماح والخناجر والبنادق ومع وجود مدافع لهم غنموا بعضها من خصومهم، فإنه لم يستفيدوا منها في غزواتهم الداخلية إلا أنهم استفادوا منها نوعاً ما في دفاعهم ضد الحملات العثمانية التي قام بها حاكم مصر محمد علي باشا خلال السنوات 1228- 1233هـ.

5- النظام القضائي (القضاء) /

يقوم النظام القضائي في الدولة السعودية الأولى على أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، واجتهاد السلف الصالح من فقهاء المذاهب الأربعة خصوصاً الحنابلة منهم، ومن هنا فإن منصب القاضي من المناصب المهمة في الدولة، ويشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون من علماء الشرع الإسلامي الذين لهم علم ودراية طويلة في العلوم الشرعية كي يستطيع الفصل في المنازعات والخلافات والشكاوى والقضايا التي تعرض عليه، ويجب أن يتصف بالنزاهة والعدل بين المتخاصمين فلا فرق لديه بين رفيع ووضيع، أو غني وفقير.

6- النظام الاقتصادي (الأنشطة الاقتصادية) /

عمل الكثير من السكان في (الزراعة) التي تكثر عادة في الواحات كالأحساء ووادي الدواسر والأفلاج والخرج والوشم وسدير والقصيم، ومناطق جنوب البلاد وغيرها من مناطق الدولة السعودية الأولى المترامية الأطراف، فيزرعون النخيل والحنطة والشعير والذرة والسمسم والأرز

والخضروات والفواكه بأنواعها، وكان هنالك من السكان من يعمل (بالتجارة) محلية وخارجية، فالمحلية تعتمد على البيع والشراء الداخلي وتتمثل في الأسواق التي تحوي الدكاكين وتتوفر بها معظم الحاجيات الضرورية، أما التجارة الخارجية فكان هنالك من سكان بعض المناطق من جاب بلداناً خارج الدولة فتاجر مع البلاد العربية المجاورة، بل وصل بعضهم الهند وغيرها، فصدروا الخيول العربية الأصيلة، وجلبوا البضائع والسلع والمصنوعات الضرورية كالملابس والبن والهيل والسكر وغيرها، وكانت هنالك طرق تجارية برية وأخرى بحرية.

أما (المصنوعات والحرف) فقد مارس بعض السكان الحرف اليدوية كالصياغة والحدادة والنجارة وصناعة الفخار وصناعة المنسوجات من الصوف والوبر وبعض الأدوات والحصر المصنوعة من سعف النخيل وغيرها لسد حاجة السوق المحلي، أما قطاع البادية فقد عملوا (بالرعي) فجابوا المراعي الفسيحة في حل وترحال خلف الماء والكلأ، وبحثاً عمن يشتري منتجاتهم، وهم بدورهم يشترون ما يحتاجونه منهم، كما شهدت كذلك المناطق الساحلية سواء على البحر الأحمر أو الخليج العربي وجود مهنة (صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ) لسكان تلك المناطق.